زقـــــورة ايتمــنانكــي (بــرج بابل)

م.أحمد حبيب سنيد الفتلاوي
جامعة بابل ـ كلية التربية

المقـــدمـــــة

حظيت زقورة بابل (برج بابل) بشهرة كبيرة لا تقل عن الشهرة التي نالتها مدينة بابل بوصفها اضخم مدن العالم القديم . فقد ورد ذكر هذه الزقورة في كتابات المؤرخين الكلاسيكين (اليونان والرومان) والتوراة فضلا عن الكتابات المسمارية وهذا نابع دون شك من ضخامة هذا البناء وجماله اذ انه نال اعجاب من رآه لذا حرصوا على تدوين اوصافه في كتاباتهم .

وفي الحقيقة لم يتبق من بناء هذا الصرح العظيم الذي يعد من عجائب الدنيا السبع سوى الطبقة السفلى بسبب التدمير الذي تعرض له على يد الملك الفارسي احشويرش ولهذا سوف نعتمد على المصادر المذكورة انفا في تكوين صورة تقريبية عن شكل الزقورة .

زقـــــورة ايتمنانكـــــي (بر ج بـابـــل)

ورد اسم هذه الزقورة بالصيغ الكتابية الاتية:-

- E . TE . ME . EN . AN . KI
- E . TEMEN . AN . KI
- E . TE . MEN . AN . KI

وغالبا ما تكتب بالصيغة الكتابية الاخيرة ومعناها (بيت مصطبة اساس السماء والارض)[1] ويمكن ان نستشف من معنى اسم الزقورة ان العراقيين القدماء كانوا يعتقدون ان الزقورة هي حلقة الوصل بين السماء والارض فهي بمثابة طريق الالهة الى الارض ومستقرهم عند نزولهم من السماء لذلك كانت تمتاز بقدسية رفيعة في معتقدات السومريين والاكديين والبابليين والاشوريين[2]على حدٍ سواء.

اما فيما يخص تاريخ بناء الزقورة فتشير اخبار الملوك الذين سبقوا قيام سلالة بابل الاولى الى وجود الزقورة قبل قيام الدولة الاكدية حوالي سنة 2350 ق. م ومن المحتمل انها قد شيدت في اواخر عصر فجر السلالات أي حوالي 2600 ق. م وانها تطورت خلال هذه الفترة الطريقة نفسها التي تطورت فيها المعابد المدرجة في عهد سلالة اور الثالثة 2050 ق. م كما في زقورة اور ونفر وغيرها من المدن. اما اقدم الوثائق التي لدينا عن تاريخ تجديد بناء الزقورة فتعود الى زمن الملك الاكدي نرام- سين (2270- 2233ق. م) اذ يذكر انه جدد صرح بابل ومعبد ايساكيلا واضاف اليهما مباني جديدة [3]. وقد حرص ملوك العراق القديم الذين جاؤا من بعده على اعادة ترميم وتجديد الزقورة تقربا للاله مردوخ وكسبا لمرضاته .

تقع الزقورة في القسم الشرقي من مدينة بابل[4] بالتحديد في الجزء الجنوبي الغربي من فناء واسع محاط بسور مربع الشكل تقريبا يبلغ طول ضلعه حوالي (409 م) يضم ضلعاه الشمالي والغربي صفا من الغرف اما ضلعه الشرقي فيضم بنايتين كبيرتين تتالف كل واحدة منهما من ساحة وسطية محاطة بغرف طولية ضيقة من المرجح انها كانت تستخدم كمخازن اما الضلع الجنوبي فيعتقد انه كان يضم بيوت سكن الكهنة ويعزل هذا السور الزقورة عن معبد ايساكيلا [5] وقد نقبت في الزقورة لاول مرة البعثة الالمانية براسة روبرت كولدفاي في عام 1913 [6] ثم توالت بعد ذلك البعثات التنقيبية غير انها لم تكن كافية من اجل اعطائنا معلومات كافية عن شكل الزقورة وذلك لتعرضها للتخريب على يد الملك الفارسي احشويرش لذا يمكن ان نستقي معلوماتنا عن الزقورة من

---

[1](1)- George, A, House Most High The Temples of Ancient Mesopotomia, USA, 1993, p.149: 1088.

[2](2)- الامين, محمود, صرح بابل المدرج او (الزقورة), مجلة كلية الاداب, 1960,ص3- 5.

[3](1)- الامين, محمود, صرح بابل المدرج او (الزقورة),ص2- 3.

[4](2)- الاحمد, سامي سعيد, المدن الملكية والعسكرية, المدينة والحياة المدنية, ج1, بغداد, 1988, ص153.

[5](3)- Koldeway, R, The Excavations at Babylon Translated by Agnes, S, Johan, London, 1914, p.189-190.

[6](4)- Ibid, 183.

ثلاثة مصادر هي النصوص المسمارية, والتوراة, والكتابات الكلاسيكية . وفيما يخص المصادر المسمارية يذكر الملك نبوبلاصر انه :-

(امرني انذاك الاله مردوخ ان اعيد بناء البرج (ايتمنانكي) الذي تداعى قبل عهدي وارسيت جدرانه في اعماق الارض وجعل نهايته (ارتفاعه) تضاهي علو السماء احضرت الفؤوس وقوالب اللبن (المصنوعة) من العاج وهيأت الاخشاب (خشب اوتوهو وخشب مس- مار- كان- نا000وجمعت العمال ليحلو الطين والاجر000واشرفت بنفسي على المقاسات ومد الفنيون الخيوط وعينوا الحدود000وقمت بتنظيف المكان ووضعت في الاساس الاس والذهب والفضة واحجار الجبال والبحار ووضعت تحت اللبن الزيت اللماع النقي والاعشاب ذات الرائحة الزكية وامرت بصنع تمثال لي وانا احمل طاسة البناء (الطين) ودفنه في الاساس000واحنيت راسي امام سيدي مردوخ وكنت احمل فوق راسي الاجر والطين وانا في ردائي الملكي000وجعلت نبوخذنصر ابني البكر وحبيب قلبي يحمل مواد البناء مثل سائر الناس000جعلت (نبو- شوم- ليشر) اخاه الاصغر وزهرة قلبي يخلط الطين والشراب والزيت والاعشاب ويمسك بالمر ويحمل على راسه سلة الاجر وعلى غرار (أي- شرا)000شيدت بيتا وسط الافراح وجعلت راسه عاليا مثل الجبل من اجل مردوخ سيدي وامرت بزخرفته كما كان في ايامه الماضية وهو يثير العجب فيا سيدي مردوخ عساك ان تنظر بعين الرضا الى عملي ونجعله خالدا الى الابد وادعوك ان تثبت عرشي الى قابل الايام البعيدة وتجعله خالدا مثل بناء ايتمنانكي عساك ان تبارك الملك الذي قام بتجديدك واذا ما سكن فيك مردوخ فتذكر ايها المعبد تقاي وصلاحي امام سيدي مردوخ) [7]

نستشف من نص نبوبلاصر انف الذكر انه قام باكمال بناء الزقورة غير ان الحقيقة خلاف ذلك اذ يذكر ابنه الملك نبوخذنصر الثاني انه قام باكمال بناء الزقورة التي شرع ببنائها والده من قبل ويتضح من النص العائد لنبوخذنصر ان اعمال والده في الزقورة اقتصرت على تنظيف موقع الزقورة ووضع حجر الاساس والجدران الخارجية لارتفاع (15 م) فقط وقد اشرك الملك نبوخذنصر في اعمال البناء جميع الشعوب الخاضعة له من البحر الاعلى (البحر الابيض المتوسط) الى البحر الاسفل (الخليج العربي) وفي المناطق البعيدة عن دولته.

وقبل الشروع بعملية البناء قام بنقل اخشاب الصنوبر من لبنان الى بابل ربما في اثناء حملته الى هذه المنطقة وعند مباشرته بالعمل قام بدفن الجدران التي بناها والده من الاجر والقير باللبن كما كسى خشب الصنوبر وخشب مسماكا الذي جلب من مكان (عمان) بالصفائح البرونزية ربما لاستخدامها كابواب للمعبد العلوي الذي بناه من اجل الاله مردوخ ليكون مخدعا للالهة وفيما يلي نذكر النص:-

(اتمنانكي, البرج المدرج لمدينة بابل, الذي قام بتنظيف موقعه نبوبلاصر, ملك بابل والدي, بفن التعاويذ وحكمة الالهة ايا مردوخ, وضع حجر الاساسه, وجدرانه الخارجية الاربعة بالقير والاجر بارتفاع 30 ذراع (أي 15م), ولكنه لم يقم بتعلية قمته لجعل اتمنانكي عاليا وجعل قمته تنافس وعلو السماء, والاقوام الساكنة في اقاصي البلاد والتي بسط حكمي عليها مردوخ, سيدي, والمنتصر اله السماء, جميع الاقطار وجميع الشعوب من البحر الاعلى الى البحر الاسفل والاقطار البعيدة, والافراد القاطنين في الاقاصي, وملوك الجبال النائية والجزر البعيدة في وسط البحر, البحر الاعلى والبحر الاسفل التي جعل مردوخ, سيدي لجامها بيدي, قد دعوتها للمساهمة ووضعت سلة الطابوق فوق الراس عند بناء اتمنانكي , اور, الوركاء, لارسا, اريدو, كولاب, مدينة نميت- لاكودا, ارض اوكار, جميع 000الاراك000بوكودا, بيت- داركو, بيت اموكانيم, بيت- زامة,

[7](1)- Angdon, Die Neubaby bnischen Koing, Inscripften, Leipzig, 1912, p.149.

بيراته000الدير, اكد, ارابها, لاهيرو, جميع البلاد (او جبال اكـ) و 000مان000حكام000حاتيم من البحر الاسفل, بلاد سومر واكد, بلاد ما بين النهرين, ملوك الجزر النائية, الواقعة في وسط البحر الاعلى, ملوك الجزر النائية الواقعة في وسط البحر الاسفل, حكام حاتيم على جانبي الفرات, في الغرب, والتي امارس حكمي عليها بامر من مردوخ, سيدي, واخشاب الصنوبر الكبيرة نقلتها من لبنان الى مدينتي بابل, جميع الشعوب القاطنة بعيدا والتي اهداها لي مردوخ, سيدي, جعلتها تشارك في العمل ووضعت على رؤوسها سلة الاجر. ان بناءه السفلي قد دفنته بارتفاع 30ذراع, اخشاب الصنوبر القوية, اخشاب كبيرة من خشب مسماكا قد كسوتها بالصفائح البرونزية واستعملتها باعداد كبيرة000وشيدت لمردوخ, سيدي, معبدا علويا نظيفا ومخدعا للالهة مثل ما كان في الماضي فوق البناء العلوي كقطعة فنية. سيدي مردوخ يا عظيم الالهة, الجبار, تنفيذا لامركم بنيت مدينة الالهة, وشيدت الجدران, جدد المخدع, اكمل المعبد. وبناء على امرك السامي الذي لا يخالف, وصلت الاوتاد الخشبية, انتهى عمل يدي جميع ما قمت به, ليبقى قائما وخالدا في المستقبل, لاتامل في روعته ومثل ثبات وخلود اتمنانكي الى الابد, ليثبت عرش ملوكيتي الى الابد.) [8]

ويتضح من احد النصوص العائدة للملك نبوخذنصر ان المعبد العالي لزقورة ايتمنانكي قد بني من الاجر الازرق المزجج وفيما يلي نذكر النص:-

(بنيت واكملت ايتمنانكي زقورة بابل وبنيت قمتها العليا بالاجر الازرق المزجج) [9]

وقد جاءنا من فترة الحكم السلوقي رقيم مسماري ارخ في السنة السلوقية (82) في 26/ شهر كيسيليمو الموافق 229 ق. م الثاني عشر من شهر كانون الثاني من زمن الملك سلوق عثر عليه في مدينة الوركاء يعد غاية في الاهمية لتناوله ابعاد زقورة الايتمنانكي عرف برقيم ايساكيلا للكاتب (انو- بيل- شونو) وهونسخة عن رقيم اقدم من بورسيبا[10] والذي يهمنا من هذا الرقيم الاسطر (37-42) [11] التي ورد فيها الاتي:-

37	15	GAR	siddu	15	GAR	putu	5,5	GAR	milu	Pitquu	saplu
38	13	GAR	siddu	15	GAR	putu	3	GAR	milu	rikbi	sanu
39	10	GAR	siddu	10	GAR	putu	1	GAR	milu	rikbi	salsu
40	8,5	GAR	siddu	8,5	GAR	putu	1	GAR	milu	rikbi	ribu
41	7	GAR	siddu	7	GAR	putu	1	GAR	milu	rikbi	hamsu
41a	5,5	GAR	siddu	5,5	GAR	putu	1	GAR	milu	rikbi	sessu
42	4	GAR	siddu	\3,34	GAR	putu	2,5	GAR	milu	rikbi	Kissuelu

[8](1)- كريشن, فرينز, عجائب الدنيا في عمارة بابل, تعريب:- صبحي انور رشيد, بغداد, 1982, ص27- 29.

[9](2)- Peters, Nippur or Excavations and Adventures on The Euphrates, New York and London, 1897, p.217.

[10](1)- كريشن, فرينز, عجائب الدنيا في عمارة بابل, ص12- 14.

[11](2)- محمد, عبد الاله فاضل, برج بابل في النصوص المسمارية, مجلة كلية الاداب بغداد, العدد 62, 2002, ص4.

تعطينا الاسطر المذكورة انفا على شكل جدول (لمزيد من التوضيح) الطول والعرض والارتفاع لطبقات الزقورة وتساوي وحدة القياس (GAR) الواردة في الرقيم (6 امتار) على اعتبار ان GAR تتالف من (12 ذرعا) وكل ذراع تساوي (0,5) نصف متر[12] وطبقا لهذا يكون القياس المتري لطبقات الزقورة كالاتي:-

السطر	الطول	العرض	الارتفاع	الطبقة
37	**90**	**90**	**33**	**بناء لبن اسفل**
38	**78**	**78**	**18**	**الطابق الثاني**
39	**60**	**60**	**6**	**الطابق الثالث**
40	**51**	**51**	**6**	**الطابق الرابع**
41	**42**	**42**	**6**	**الطابق الخامس**
41- أ	**33**	**33**	**6**	**الطابق السادس**
42	**24**	**21**	**15**	**المعبد السابع**

وقد قام الباحثون[13] باضافة السطر (41- أ) لاعتقادهم ان ناسخ النص قد نسي هذا النص سهوا بالاعتماد على تتابع قياسات الطبقات المتتالية .

واهم ما نستشفه من هذا الرقيم هو التشابه بين ابعاد الطبقة الاولى الواردة في الرقيم وما ورد في تنقيبات البعثة الالمانية كما ان ارتفاع الزقورة في الرقيم تساوي طول ضلع قاعدتها (90 م) . كذلك ورد في هذا الرقيم وصف المعبد العلوي وقياس جميع غرفه وفيما يلي نذكر النص:-

(البيوت والغرف السته للالهة في مصاطب المعبد هي المسكن الشرقي مع غرفة للالهة]000[6 متر +]000[الطول 4 متر جهة (؟) على جهة (؟) غرف الالهة نبو تاشميتم 4,5م الطول الكلي واحد واربعة متر العرض مسكنان شماليان للاله ايانسكو مسكن ايا 8,5 م الطول 3 م العرض مسكن نسكو 3,5 م الطول 3, 5 م العرض. المسكن الجنوبي هو مسكن انوم وانليل 7 م الطول 3 من العرض المسكن الغربي (يحتوي) توعوم وسلم في حجرته الاخيرة وبجانب جدار الباب مخدع النوم 12,5 م الطول 3 م العرض والجوار الداخلي 10 م الطول 2 م العرض والسلم نفس الطول 3,5 م العرض الفناء 10 م الطول 6,5 م العرض الفناء مسقف (؟) ومحاط بالدواليب (؟) السرير طوله 4,5 م و2 م عرض السرير والعرش الواحد مقابل الاخر وسرير ثان موجود في الفناء بوابة شروق الشمس البوابة الجنوبية بوابة غروب الشمس البوابة الشمالية)
(14)

ومن المصادر الاخرى التي تناولت زقورة بابل التوراة التي تصف عملية بناءها بشكل مقتضب جدا اذ يذكر سفر التكوين انها كانت عبارة عن بناء عال تصل قمته الى السماء وان المواد المستخدمة في بنائها اقتصرت على استخدام الاجر والقير وفيما يتعلق بما يذكرة سفر التكوين في ان مدينة بابل دعيت بهذا الاسم لان الرب بلبل لسان كل الارض فانه ادعاء عارٍ من الصحة جملةً وتفصيلاً ذلك لان اسم مدينة بابل الذي ورد في اللغة السومرية بالصيغة :- (KA . DINGIR . RA)) وفي اللغة الاكدية بالصيغة :- (bab - ili) يعني في كلا الصيغتين (بوابة الاله) وليس له علاقة بالكلمة العبرية (بلبل) التي تعني التشويش والخلط [15] وفيما يلي نذكر نص ما جاء في سفر التكوين :-

(وكانت الارض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة وحدث في ارتحالهم شرقا انهم وجدوا بقعة في ارض شنعار وسكنوا هناك وقال بعضهم لبعض هلم نصنع لبنا ونشويه شيا فكان لهم اللبن مكان الحجر وكان لهم الحمر (القير) مكان الطين وقالوا هلم نبن لانفسنا مدينة وبرجا راسه بالسماء ونصنع لانفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه كل الارض فنزل الرب لينظر

---

[12](3)- كريشن, فرينز, المصدر السابق, ص17.

[13](1)- من هؤلاء الباحثيين دومبات وموريك واونكر واخرين ينظر:- محمد, عبد الاله فاضل, برج بابل في النصوص المسمارية, ص7.

[14](2)- كريشن, فرينز, عجائب الدنيا في عمارة بابل, ص12- 14.

[15](1)- بارو, اندريه, برج بابل, ترجمة :- جبرا ابراهيم جبرا, بغداد, 1980, ص15.

المدينة والبرج اللذين كان بنو ادم يبنونهما وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداءهم بالعمل والان لا يمتنع عليهم كل ما ينوون ان يعملوه هلم ننزل هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض فبددهم الرب من هناك على وجه كل الارض فكفوا عن بنيان المدينة لذلك دعي اسمها بابل لان الرب هناك بلبل لسان كل الارض ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الارض) [16]

وعن الغرض من بناء الزقورة ذكرت التوراة انه كان من اجل اختراق ابواب السماء وتحدي ارادة الرب اذ جاء في سفر اشعيا ان ملك بابل رفع كرسيه الى السماء ليصير مثل العلي :-

(وانت قلت في قلبك اصعد الى السماوات ارفع كرسي فوق كواكب الله واجلس على جبل الاجتماع في اقاصي الشمال اصعد فوق مرتفعات السحاب اصير مثل العلي) [17]

وفي الحقيقة يمكن ان نلاحظ التناقض بين ما ورد في سفر اشعيا بشأن الغاية من بناء الزقورة وما ورد في كتابات ملوك العراق القديم التي تبين ان بناء الزقورة كان من اجل نيل رضا الالهة والتقرب منها واظهار مدى طاعتهم وولائهم لها وليس تحديها وتشبيه انفسهم بها فلم يشيدوا زقوراتهم لتكون عروشا لهم بل لتكون مسكنا لالهتهم ومكاناً لسماع صلواتهم وممارسة طقوسهم الدينية اذ يذكر الملك نبوبلاصر على سبيل المثال لا الحصر بهذا الخصوص ما نصه:-

(وسط الافراح وجعلت راسه عاليا مثل الجبل من اجل مردوخ سيدي وامرت بزخرفته كما كان في ايامه الماضية وهو يثير العجب فيا سيدي مردوخ عساك ان تنظر بعين الرضا الى عملي ونجعله خالدا الى الابد وادعوك ان تثبت عرشي الى قابل الايام البعيدة وتجعله خالدا مثل بناء ايتمنانكي عساك ان تبارك الملك الذي قام بتجديدك واذا ما سكن فيك مردوخ فتذكر ايها المعبد تقاي وصلاحي امام سيدي مردوخ) [18]

ويمكن ان نعزو سبب ما تذكره التوراة عن الغرض من بناء الزقورة الى الحقد الدفين الذي يحمله اليهود في قلوبهم على الملك البابلي نبوخذنصر الثاني الذي قام باسرهم ونقلهم الى بابل وربما استخدمهم في العمل على بناء زقورة بابل لا سيما انه يذكر في احد نصوصه انه جعل

(جميع الشعوب القاطنة بعيدا او التي اهداها له الاله مردوخ سيده جعلها تشارك في العمل) [19]

لذلك صور كتبة العهد القديم بناء الزقورة اختراقاً لابواب السماء وتحدياً لارادة الرب وكأن هذا لم يكف في نظرهم حتى اتهموا نبوخذنصر بالجنون في السنوات الاخيرة من حكمه.

اما فيما يتعلق بالكتابات الكلاسيكية أي اليونانية والرومانية فيعد هيرودوتس[20] (ابو التاريخ) بحق من اقدم المؤرخين الذين وصفوا زقورة بابل اذ قام بزيارة بابل بين سنة (470- 460 ق. م) أي بعد اكثر من مئة سنة من بعد قيام نبوخذنصر ووالده باعادة بناء الزقورة والبنايات الاخرى الموجودة في المدينة, ولا شك ان كثيرا من هذه الشواهد قد اصاب الخراب بعض اجزائها وازيلت من الوجود اجزاء اخرى خلال هذه الفترة الطويلة من الزمن حتى ان نهر الفرات قد غير مجراه هذا فضلا ما عرف عن هيرودوتس من اخذه بشهادات واقوال الناس من دون الاعتماد على ملاحظاته الشخصية الامر الذي يفسر الاختلاف الموجود بين المعلومات التي اوردها وبين نتائج تنقيبات البعثة الالمانية في مطلع القرن العشرين[21].

---

[16](2)- سفر التكوين 11: 1- 9.

[17](3)- سفر اشعيا 14: 13- 15.

[18](1)- Angdon, Die Neubaby bnischen Koing, Inscripften, Leipzig, 1912, p.149.

[19](2)- كريشن, فرينز, عجائب الدنيا في عمارة بابل, ص27.

[20](3)- هيرودوتس:- يعد من اشهر المؤرخين الاغريق وقد ولد في مدينة هاليكارناس - اسيا الصغرى سنة 484 ق. م وقد قام بالتجول بين بلاد الرافدين وبلاد وادي النيل وسوريا واسيا الصغرى ومن اجل تدوين جذور النزاع الذي دار بين الاغريق والفرس ينظر:- هيرودوتس, تاريخ هيرودوتس الشهير, ترجمة:- بستر حبيب, مج1, بيروت , 1886- 1887, ص4- 8.

[21](4)- الامين, محمود, صرح بابل المدرج او (الزقورة), ص222.

ومن هذه الاخطاء القياسات التي لم يتمكن من تدقيقها وضبطها بنفسه فعلى سبيل المثال لم ياخذ قياسات اسوار مدينة بابل خطوة خطوة.وعلى الرغم من هذا كله فانه يجب الاخذ بوصفه لزقورة بابل لسبب بسيط هو انها كانت قائمة في ايامه[22] بغض النظر عن كونه زار مدينة بابل ام انه اعتمد على ما اخبره به الكهنة الكلدانيين[23] وفي معرض كلامه عن البرج (الزقورة) يشير هيرودوتس الى انها كانت تتألف من ثمانية مصاطب وان المصطبة السفلى بحسب ما نستشفه من وصفه كانت كبيرة واكثر ارتفاعا من بقية المصاطب وكان يقوم فوقها عدة مصاطب لم يذكر هيرودوتس أي شيء بخصوصها ربما يعود سبب ذلك الى تشابهها وارتفاعها البسيط ثم ياتي الوصف الخاص بالقسم النهائي من البناء وهي المصطبة الاخيرة التي فيها معبد الاله ويرتقي الزائر الى هذا البرج بواسطة سلم حلزوني يدور حول الابراج وفيما يلي نذكر النص:-

(في كل قسم من قسمي المدينة (قسمت بواسطة النهر) كان يقوم بناء, ففي وسط احدهما كان قصر الملك المحاط بالتحصينات القوية, وفي القسم الثاني كان يوجد معبد الاله زيوس- بيلوس ذو الابواب المعدنية والذي كان قائما في زماني, وهو مربع الشكل طول ضلعه اثنان من الستاديون[24] . وفي وسط منطقة المعبد شيد برج صلد عرضه ستاديون وطوله ستاديون وفوق هذا البرج برج اخر واخر وهكذا لغاية ثمانية ابراج. والارتقاء الى ذلك كان بواسطة سلم خارجي يدور حول الابراج. وعند الصعود الى وسط المسافة يوجد موضع استراحة فيه مصاطب للجلوس والراحة للصاعدين الى البرج وفي البرج العلوي الاخير يوجد معبد كبير في هذا المعبد كان يوجد سرير جاهز وبقربه مائدة من ذهب ولم يكن هناك تمثال للاله في هذا المعبد ولا ينام هنا ليلا سوى امراة واحدة من المواطنين التي اختارها الاله من بينهم كما قال بذلك الكلدانيون كهنة هذا الاله)[25]

والوصف الاخر الوارد في الكتابات الكلاسيكية عن الزقورة ما يذكره المؤرخ اليوناني (ديودور الصقلي) [26] حوالي 60 ق. م من وصف مقتبسا اياه من (اكتسايس) الذي عاش في حوالي 400ق. م وعمل كطبيب في البلاط الفارسي لذا فمن المحتمل جدا انه كان في بابل وشاهد برج بابل بعد جيلين من هيرودوتس[27] .ويذكر ديودور ان الزقورة كانت مهدمة في زمن الطبيب الاغريقي اكتسياس بشكل يصعب معه وصف معالم الزقورة غير ان الشيء المتفق عليه هو ان البناء كان خارق العلو وقد استغل الكلدانيون هذا الامر من اجل مراقبة النجوم بواسطة مراصدهم الفلكية ا لتي وضعوها في قمة الزقورة ويتفق النص مع ما جاء في التوراة في ان المواد المستخدمة في البناء تتالف من الاجر والقير مما يشير ان الغلاف الخارجي للزقورة كان لا يزال قائما.اما اشارته الى التماثيل الثلاثة الموجودة في المعبد وهو زيوس الذي يقصد به الاله مردوخ[28] وهيرا الالهة الام عند الاغريق ومن المحتمل انها تقابل الالهة صرباينتم زوجة الاله مردوخ وريا التي ربما تقابل الالهة عشتار[29] فلا توجد أي اشارة سواء في النصوص المسمارية او التنقيبات الى وجود هذه التماثيل في زقورة بابل وفيما يلي نذكر نص ديودور:-

---

[22](1)- كريشن, فرينز, عجائب الدنيا في عمارة بابل, ص9.

[23](2)- اختلف الباحثين بشان حقيقة زيارة هيرودوتس لمدينة بابل فيرى رولنصن انه لم يزور المدينة ابدا فيما يؤيد كل من اونكر واندريه بارو وكريشن زيارته لمدينة بابل ينظر :-

- Parrot, A, Ziggurats et Tour de Babel, Paris, 1949, p.9.

[24](3)- ستاديون:- وحدة قياس يونانية تعادل (184م) ينظر:- الامين, محمود, صرح بابل المدرج او (الزقورة), ص222.

[25](4)- Herodotus, The Hiestories of Herodotus and Halicornassus, Translated and Introduced by Harry Carter, London Oxford, 1962, p.77.

- كريشن, فرينز, المصدر السابق, ص9- 10.

[26](1)- بيكنغام, جيس, رحلتي الى العراق سنة 1916, ترجمة:- سليم طه التكريتي, ج1-2, بغداد, 1968, ص111 .

[27](2)- كريشن, فرينز, عجائب الدنيا في عمارة بابل, ص11.

[28](3)- باقر, طه, معابد العراق القديم, سومر, مج3, ج1, بغداد, 1947, ص16.

[29](4)- الامين, محمود, صرح بابل المدرج او (الزقورة), ص224.

(بعد ذلك عملت (سميراميس) في وسط المدينة معبدا للاله زيوس الذي يسميه البابليون بيلوس هذا وحيث ان الكتاب قد اختلفوا في وجهات نظرهم كما وان البناء قد تهدم بمرور الزمن لذا فانه ليس بالامكان ايراد شيء مضبوط حوله والشيء المتفق عليه جميعا هو ان البناء كان خارق العلو وان الكلدانيين قد نصبوا عليه مراصدهم الفلكية لمعرفة شروق وغروب النجوم. وكان البناء برمته مشيدا بالاجر والقير بطريقة رائعة وفي القمة كانت تنتصب ثلاثة تماثيل ذهبية:- زيوس, هيرا, وريا. [30])

وقد عد المؤرخ والجغرافي اليوناني سترابون (60ق. م - 20م) [31] زقورة بابل بمثابة قبر للاله بيل (مردوخ) وكانت الزقورة مهدمة في وقت هذا الكاتب ويذكر بحسب ما اخبر به ان ملك بلاد فارس احشويوش (486- 465ق. م) الذي يسميه سترابون اكسركيس هو من قام بتدمير الزقورة على اثر اخماده لثورة قامت في بلاد بابل بعد توليه العرش [32] والزقورة على شكل هرمي مربع اذ يبلغ طولها 184 متر وعرضها 184 متر مبنية من الاجر. وقد حاول الاسكندر المقدوني[33] اعادة بناء الزقورة غير انه كان مشروعاً ضخماً جدا تطلب منه استخدام 10,000 رجل في اعمال نقل الانقاض فقط ولمدة شهرين ومما زاد في الطين بلة المنية التي وافته على اثر اصابته بمرض مفاجيء مما حال دون انجازه هذا العمل وقد اصبح هذا المشروع في طي النسيان بعد وفاة الاسكندر نتيجة لاهماله من قبل الحكام الذين خلفوه [34] ويتضح لنا من وصف سترابون للزقورة انه مشابه لوصف هيرودوتس وربما انه اخذه منه . اما فيما يخص كتابات المؤرخين الرومان فيذكر المؤرخ الروماني اريان (95- 175م) ما ياتي:- **(ان زقورة بابل كانت لدى مجيء الاسكندر الاكبر الى بابل خربة وركاما وعزم على معاودة بناءها ونقل جميع انقاضها فعلا فاصبح موقعها في ذلك خاليا لكن الاسكندر بلغ حتفه قبل ان يبدأ في ذلك العمل)** [35]

وبعد ان استعرضنا ما تناولته الكتابات المسمارية والتوراة والكتابات الكلاسيكية بقي ان نتناول التنقيبات الاثرية التي قامت بها البعثات الاجنبية والتي نقبت في ما تبقى من الزقورة بعد ان تعرضت لتدمير شامل على يد الملك الفارسي احشويرش ولعل استعانة الاسكندر بعشرة الاف عامل من اجل نقل الانقاض ولمدة شهرين[36] يدل دلالة واضحة على مدى الدمار الفادح الذي لحق بالزقورة كما يدل في الوقت نفسه على ضخامة العمل الذي قام به الملك نبوخذنصر من اجل بناء هذه الزقورة كما يصف ذلك في نصه التاريخي ولان نتائج التنقيبات لم تقدم معلومات كافية عن شكل الزقورة واهم مرافقها نظرا لتعرضها للدمار كما ذكرنا انفا هذا فضلا عن تعرض الجزء المتبقي منها اصلا للتخريب على يد السراق الذين انتزعوا اجره ما جعل الجزء السفلي منها عبارة عن خندق مملوء بالماء[37] فلنا ان نتصور بعد كل ذلك صعوبة تكوين صورة كاملة عن شكل الزقورة بالاعتماد على نتائج التنقيبات وحدها لذا سوف نستعين بما جاء في النصوص التاريخية مع ما اظهرته نتائج التنقيبات من اجل رسم هذه الصورة .تشير بقايا الزقورة التي نقب فيها كولدفاي في سنة 1913 الى انها بناء مربع الشكل طول ضلعه يزيد قليلا على (91,5م) والشيء الوحيد المتبقي من البناء السفلي هو الغلاف الذي يزيد سمكه على (15م) ويتألف من الاجر المشيد بالقير اما النواة فمحشاة باللبن. ويحتوي الجدار الخارجي على (12 طلعة) بشكل عمود ملتصق تتحكم فيه وفي الطوابق العليا قياسات الاجر التي يبلغ حجم الاجرة الواحدة حوالي (واحد قدم) أي بما يساوي (34 سم) وبناء على هذا كان عرض الطلعات في الزوايا (14 قدم) والطلعات الوسطية (11 قدماً) والدخلات (12 قدماً)

---

[30](5)- كريشن, فرينز, المصدر السابق, ص11.

[31](6)- بيكنغام, جيس, المصدر السابق, ص112 .

[32](1)- باقر, طه, مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, ج2, 1956, ص408- 409 .

[33](2)- الاسكندر المقدوني:- يعد من ابرز القادة الذين عرفهم التاريخ القديم ولد في مقدونيا وبعد وفاة والده تولى قيادة الجيوش اليونانية ضد بلاد فارس وتمكن من تحقيق انتصارات باهرة اذهلت العالم اجمع وفي سن 33 توفي عام 323ق. م ينظر:باقر, طه, مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة,ط2, ج2, بغداد, 1959, ص439- 440

[34](3)- Parrot, A, Ziggurats et Tour de Babel, Paris, 1949 p.9-10.

[35](4)- جميل, فؤاد, اريان يدون ايام الاسكندر الكبير في العراق, سومر, مج22, بغداد, 1965, ص284- 285.

[36](5)- Parrot, A, Ziggurats et Tour de Babel, p.9-10.

[37](6)- اوتس, جون, بابل تاريخ مصور,ترجمة:- سمير عبد الرحيم الجلبي, بغداد, 1990, ص238.

وتبرز الطلعات حوالي (قدم واحدة) [38] ان بقايا الزقورة وانقاضها التي تتجاوز في ارتفاعها بضعة امتار قد نزل سراق الاجر في بعض الاجزاء منها الى الاساس اذ لم يتركوا احيانا الا حدود الاساس وقد تم الكشف في الضلع الجنوبي للزقورة عن بقايا ثلاثة سلالم يبلغ عرض السلم الوسطي حوالي (9,35م) ويؤدي الى وسط البرج ويبتدىء من امام الواجهة بمسافة (59,81م) اما السلمان الجانبيان فيبلغ عرضهما (8,20م) بعكس السلم الوسطي يلاصقان جدار الواجهة ويتجهان من زاوية الزقورة نحو الوسط ونهاية هذين السلمين هي غير موجودة بسبب الخراب الذي اصاب البناء ولكن من الممكن تصورهما واعادتهما استنادا الى بدايتهما المتبقية والى زاوية الميلان البالغة (36 درجة) وبموجب ذلك يجب ان يلتقي السلمان الجانبيان في وسط الحافة العليا للمصطبة الاولى أي على ارتفاع (33,59م)[39] اما السلم الوسطي فيرتفع الى 40 متراً وهذا يستمر بحسب راي بعض الباحثين الى الحافة العليا للطبقة الثانية أي الى ارتفاع 51 متراً[40] وفي عام 1962 نقب الالماني يوهان شمت في الزقورة واكتشف ان كتلة اللبن المتبقية من الزقورة تعود لعصر يسبق حكم الملكين نبوبلاصر ونبوخذنصر الثاني وتتالف من صفوف من اللبن وضعت بين كل سبعة صفوف منها حصران من القصب وقد اجري ترميم على الزقورة في الفترة المبكرة من تاريخها تمثل بتشييد غلاف من اللبن ربط بدعامات خشبية في لب الزقورة القديم وفيما بعد رفعت الطبقة الواقعة من اللبن وشيدت بدلاً منها طبقة من الاجر مثبته بالقير[41]

وهذا جل ما كشفت عنه البعثات التنقيبية التي نقبت في موقع الزقورة اما الاجزاء الاخرى للزقورة ومراحل البناء فيمكن معرفتها بالاستناد الى ما ورد في الكتابات التاريخية فبحسب ما يذكر الملك نبوخذنصر الثاني في نصه التاريخي يبدو ان والده الملك نبوبلاصر قام بتنظيف موقع الزقورة ووضع حجر الاساس وشيد منها ما ارتفاعه (15م) فقط ويعتقد المنقب شمت ان عمل الملك نبوبلاصر اقتصر على احاطة الزقورة القديمة بغلاف من الاجر ثم عمل بعد ذلك ابنه على رفع البناء عاليا [42] على ارتفاع (90 م) بحسب ما ورد في رقيم ايساكيلا وهو مساوٍ تقريبا لطول ضلع القاعدة التي تم الكشف عنها اثناء التنقيبات وقد استخدم الملك نبوخذنصر في عملية البناء مادة الطين الذي صنع منه الاجر واستخدمه كمادة ملاط فضلا عن استخدام القير وصفائح البرونز والخشب الجيد الذي جلبه من لبنان وعمان واستعان في عملية البناء بالعديد من الايدي العاملة التي جلبها من الشعوب الخاضعة له وكان من بينهم الاسرى اليهود . اما عن عدد المصاطب التي تتالف منها الزقورة فيذكر هيردوتس انها تتالف من ثمان مصاطب على اعتبار ان المصطبة الثامنة تمثل المعبد العلوي فيما يشير رقيم ايساكيلا ان الزقورة تتالف من ست مصاطب ما دفع بعض الباحثين للاعتقاد ان ناسخ الرقيم نسى استنساخ ابعاد المصطبة السابعة[43] ونظرا لقرب ما ورد في كتابات هيرودوتس ورقيم ايساكيلا وكون بعض المعلومات الواردة فيهما ايدتهما التنقيبات والادلة الكتابية فانه من المرجح ان الزقورة تتالف من سبع طبقات لا سيما ان العدد سبعة من الارقام المقدسة عند العراقيين القدماء واستنادا الى ما يذكره هيرودوتس فان هناك مكاناً للاستراحة في وسط البرج بالتحديد في المصطبة الثانية.وفي اعلى الزقورة يقع المعبد العلوي الذي يعتقد انه يتالف بالاستناد الى ما جاء في نص نبوخذنصر ورقيم ايساكيلا من فناء وسطي يحيط به عدد من الخلوات كرست كل واحدة منها لاحد الالهة ولهذا المعبد اربعة مداخل واحد في كل ضلع وقد زود هذا المعبد باسرة ودواليب وعرش وقد تم تغليف جدرانه الخارجيه بالاجر الازرق المزجج.

ويتم الارتقاء الى هذه الزقورة عن طريق ثلاثة سلالم تقع في الضلع الجنوبي منها بحسب ما كشفت عنه التنقيبات وتحوي هذه السلالم على جدران ساندة عرضها حوالي 60 سم[44] وقد زينت

---

[38](1)- كريشن, فرينز, عجائب الدنيا في عمارة بابل, ص17.

[39](2)- المصدر نفسه, ص18.

[40](3)- Wetzel- Weissbach , Das Mauptheiligtum Des Marduk in Babylon, in Schaftliche Veroffen Lichungen Der Deutschen Orientgesell Schaf (WVDOG), 59. 1938, 43.

[41](4)- شمت, يوهان جورج, تاريخ تشييد الزقورة في بابل استنادا الى نتائج التنقيبات في عام 1962, سومر, مج41, عدد خاص, بغداد, 1985, ص65-66.

[42](1)- شمت, يوهان جورج, تاريخ تشييد الزقورة في بابل استنادا الى نتائج التنقيبات في عام 1962,ص66-67.

[43](2)- يؤيد كل من فالتر اندريه وفريتز كريشن من ان الزقورة تتالف من سبع طبقات ينظر:- كريشن, فرينز, عجائب الدنيا في عمارة بابل, ص5.

[44](3)- كريشن, فرينز, عجائب الدنيا في عمارة بابل, ص38.

جدران السلالم الساندة وواجهات الزقورة المشيدة بالاجر بطلعات ودخلات بمقدار 12 طلعة و11 دخلة في كل ضلع عرض الطلعة الواحدة حوالي 3,30م اما طلعات الاركان فكانت بعرض 4,20م وتبرز الطلعات 30 سم ويبلغ عرض الدخلات حوالي 3,60م[45]

الخـــــاتمـــــــــة

1- حرص الملك نبوبلاصر ومن بعده ابنه الملك نبوخذنصر الثاني على بناء الزقورة لما تشكله من اهمية دينية بالنسبة للملكين البابليين انفي الذكر على اعتبار انها تعود للاله القومي عند البابليين (مردوخ) لذا نلاحظ الملك نبوبلاصر بعد توليه الحكم يباشر بعملية بناء الزقورة غير ان وفاته حالت دون اتمام هذا المشروع ليتصدى من بعده ابنه نبوخذنصر الثاني لاكماله .

2- اغفلت المصادر العائدة للملكين البابليين نبوبلاصر ونبوخذنصر الثاني عن ذكر عدد طبقات الزقورة باستثناء ما ورد في رقيم مسماري عثر عليه في الوركاء .

3- ورد ذكر الزقورة في التوراة والكتابات الكلاسيكية ما يدل على الشهرة الواسعة التي حظيت بها وما محاولة الاسكندر المقدوني من اجل اعادة بنائها الا دليل على ذلك .

4- حظيت الزقورة باهتمام البعثات التنقيبية التي نقبت فيها وكشفت عن نتائج مهمة كانت متطابقة مع ما جاء في النصوص المسمارية ما يثبت صحة ما ورد من معلومات عن الزقورة في هذه النصوص .

5- لا تخلو المصادر الكلاسيكية والتوراة من هفوات واخطاء لا يمكن التغاضي عنها فعلى سبيل المثال تذكر التوراة ان الغرض من بناء الزقورة كان من اجل تحدي ارادة الاله وهذا منافٍ لما ورد في النصوص العائدة للملوك العراقيين القدماء من ان بناءها كان من اجل التقرب من الآلهة ونيل بركتها ورضاها وليس العكس.

6- اختلف الباحثون بشان عدد المصاطب التي تتألف منها الزقورة غير انه من المرجح انها تتالف من سبع مصاطب في ضوء الادلة التاريخية المتوفرة .

قائمـــــة مصـــــادر البحـــث

المصـــــادر العربيـــة:-

1- العهد القديم.
2- الاحمد, سامي سعيد, المدن الملكية والعسكرية, المدينة والحياة المدنية, ج1, بغداد, 1988.
3- الامين, محمود, صرح بابل المدرج او (الزقورة), مجلة كلية الاداب, **1**.1960
4- اوتس, جون, بابل تاريخ مصور,ترجمة:- سمير عبد الرحيم الجلبي, بغداد, 1990.
5- بارو, اندريه, برج بابل, ترجمة :- جبرا ابراهيم جبرا, بغداد, 1980.
6- باقر, طه, معابد العراق القديم, سومر, مج3, ج1, بغداد, 1947.
7- باقر, طه, مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة, ج2, 1956.
8- باقر, طه, مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة,ط2, ج2, بغداد, 1959.
9- بيكنغام, جيس, رحلتي الى العراق سنة 1916, ترجمة:- سليم طه التكريتي, ج1-2, بغداد, 1968.
10- جميل, فؤاد, اريان يدون ايام الاسكندر الكبير في العراق, سومر, مج22, بغداد, 1965.
11- شمت, يوهان جورج, تاريخ تشييد الزقورة في بابل استنادا الى نتائج التنقيبات في عام 1962, سومر, مج41, عدد خاص, بغداد, 1985.
12- كريشن, فرينز, عجائب الدنيا في عمارة بابل.ترجمة:- صبحي انور رشيد,ط2, بلغراد, 1982.
13- محمد, عبد الاله فاضل, برج بابل في النصوص المسمارية, مجلة كلية الاداب بغداد, العدد 62, 2002.
14- هيرودوتس, تاريخ هيرودوتس الشهير, ترجمة:- بستر حبيب, مج1, بيروت , 1886- 1887.

المصـــــادر الاجنبيـــة:-

15-George, A, House Most High The Temples of Ancient Mesopotomia, USA, 1993.
16- Herodotus, The Hiestories of Herodotus and Halicornassus, Translated and Introduced by Harry Carter, London Oxford, 1962.
17- Koldeway, R, The Excavations at Babylon Translated by Agnes, S, Johan, London, 1914.
18- Parrot, A, Ziggurats et Tour de Babel, Paris, 1949.
19- Peters, Nippur or Excavations and Adventures on The Euphrates, New York and London, 1897.

[45](1)- كريشن, فرينز, عجائب الدنيا في عمارة بابل, ص18- 23.

20- Wetzel- Weissbach , Das Mauptheiligtum Des Marduk in Babylon, in Schaftliche Veroffen Lichungen Der Deutschen Orientgesell Schaf (WVDOG), 59. 1938.